

م الموضوعات الإسلامية - موضوعات متفرقة - المحاضرة ٣٤ : الوقف
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٥-٠٥-١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الوقف :

أيها الأخوة... بحث لكم عن موضوع لهذا الدرس ننتفع به جميعاً، فوقفني الله أن يكون هذا الدرس عن الوقف، وتقوا أيها الأخوة أن في هذا الموضوع من الخير ما لا يصدق. فما أساس هذا الوقف؟ ما من إنسان في العالم الإسلامي إلا ويقول لك: وزارة الأوقاف، مديرية الأوقاف، الوقف الذري، الوقف الخيري، هذه كلمات من أين جاءت؟

أصل الوقف أيها الأخوة أن سيدنا عمر رضي الله عنه قال للنبي عليه الصلاة والسلام: إن المئة سهم التي بخير لم أصب مالاً قط هو أعجب إلي منها- أي أن نفس مال عندي هذه المئة سهم التي بخير - وقد أردت أن أتصدق بها، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام:

((احبس أصلها وسبل ثمرتها))

[مسند عمر بن الخطاب للجاد عن عمر]

هذه روایة. وفي روایة : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصاب أرضاً بخير، فأثنى النبي صلى الله عليه وسلم يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله إني أصبت أرضاً بخير لم أصب مالاً قط أنفس عندي منه، فما تأمر به؟ قال عليه الصلاة والسلام:

((إن شئت حبس أصلها، وتصدق بثمرتها))

[الترمذى عن ابن عمر]

الأصل موقف إلى يوم القيمة للفقراء والمساكين، قال: فتصدق بها عمر، على ألا يباع هذا الوقف، ولا يوهب، ولا يورث، وتصدق بها على الفقراء، وفي القربي، وفي الرفاق، وفي ابن السبيل، وفي سبيل الله والضيف، لا جناح على من ولديها أن يأكل منها بالمعروف، وأن يطعم غير متمويل - أي ألا يتاجر بها - ودعا نفراً من المهاجرين والأنصار وأشهدهم على ذلك، فاشتهر ذلك.

ومن ثم أقبل المهاجرون والأنصار على وقف بعض أموالهم، وفي ذلك قال جابر رضي الله عنه: لم أعلم أحداً من المهاجرين والأنصار إلا حبس مالاً من أمواله صدقة مؤبدة -على التأبيد - لا تشتري، ولا توهب، ولا تورث، وكان كثيراً من الواقفين يكتبون كتاب وفهم مُصرّحين فيه بأنه: كان على سنة عمر بن الخطاب، لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((فَعَلَيْكُمْ بِسُنْتِي وَسُنْتِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ وَعَضُّوَا عَلَيْهَا بِالْتَّوَاجِذِ))

[أحمد عن العرباض بن ساريه]

أيها الأخوة... سيدنا عثمان حبس بئر رومة على المسلمين، اشتري بئراً غالياً جداً، وأوقفها ليشرب منها المسلمون على التأبيد، بعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينتقل بذلك من السلف إلى الخلف جيلاً بعد جيل.

وثبت أيضاً أن كلاً من سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، وسيدنا علي بن أبي طالب، حبس شيئاً من أموالهما، وتبعهم من أتى بعدهم حيث لم يخل عصرٌ من عصور المسلمين إلا وحبس فيه أناسٌ شيئاً من أموالهم على جهاتٍ خيريةٍ على التأبيد.

العمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان :

أيها الأخوة... يجب أن نعلم علم اليقين أن العمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان، الإيمان حقيقة إيجابية وليس سلبية، حقيقة متحركة وليس ساكنة، فما إن تستقر في النفس حتى تسعى بذاتها إلى تحقيق ذاتها، في صورة عمل صالح، فإن لم يتحرك المؤمن هذه الحركة الطبيعية، فهذا الإيمان مزيف، بل ميت، لأن الإيمان ليس انكمشاً، ولا سلبيةً، ولا انزواءً، وليس مجرد نوايا طيبة لا تُجسّد في حركة أو عمل صالح.

إذا الشّرة الأولى للإيمان العمل الصالح، نضيف: علة وجودك في الأرض العمل الصالح، المهمة التي أنيطت بك في الأرض العمل الصالح، ثمن الجنة العمل الصالح، والأدلة لا تعد ولا تحصى، والشيء الذي يندم عليه الإنسان عند موته هو العمل الصالح، والدليل:

﴿رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلَّيِ أَعْمَلُ صَالِحًا﴾

[سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠]

أنت مخلوق للعمل الصالح، بل إن العمل الصالح ثمن اللقاء مع الله..

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[سورة الكهف : ١١٠]

قيمة العمل الصالح باتساع رقعته وامتداد أمده وعمق تأثيره :

وبعد؛ فإنَّ الطَّمْوح يختار أعظم الأعمال، مليار مiliار مiliar عمل صالح، ولكن الطَّمْوح على الهمة يختار أعلى هذه الأعمال، ما هي أعلى هذه الأعمال؟ قالوا: كلما اتسعت رُقعة العمل الصالح، أحياناً دعوتَك بقرية، أحياناً بمدينة، أحياناً ببلد كبير، أحياناً ببلاد، أحياناً بقارات، كلما اتسعت رقعة العمل الصالح فشملت أعداداً كبيرةً من البشر، وكلما امتدَ أمد العمل الصالح، فمن الممكن لِإنسانٍ أنْ يؤلِّف كتاباً ويموت، وهذا الكتاب يتناقله جيلٌ بعد جيلٍ إلى يوم القيمة، وينتفع به مسلمون كثيرون لا يعلمهم إلا الله، فكلما اتسعت رقعة العمل الصالح، وكلما امتدَ أمده،

وتوارثت ثماره أجيالٌ وأجيال، وكلما تغلل العمل الصالح في كيان الإنسان كله المادي، وال النفسي، والاجتماعي، والروحي، حتى يتحقق به وجود الإنسان ورسالته في الحياة، كان العمل أعظم. ابحث عن عمل تكون رقعته واسعة، وأمده طويلاً، وتأثيره عميقاً، فمثلاً: يمكن أن تطعم فقيراً وجةً، إنه فقير شارد جاهل مخالف للشرع، ورأيته جائعاً فأطعنته وجة طعام، فممكّن أن تطعمه، وأن تدلّه على الله، وأن تسلّكه طريق الإيمان، فإذا بلغ الإيمان مشاشة قلبه، ودخل إلى أعمق كيانه، فاستقام على أمر الله، وأصطلح معه، وأقبل عليه، هذا العمل الصالح أعظم لأنّه تغلل في أعمق الإنسان.

ملايين الأعمال الصالحة تستثير هم المسلمين، والله هناك جمعيات خيرية أنا أقدرها كثيراً، ولكن تنتهي مهمتها بأنّها تطعم هذا البطن الجائع وانتهى الأمر، أطعنته ولكنه لم يستقم، ما صدق، ما اتصل بالله، ما عرف الله، إذا فالعمل الصالح قيمته باتساع رقعته، وامتداد أمده، وعمق تأثيره.

ازدياد قيمة العمل بكثرة المعوقات في سبيله :

إنَّ قيمة العمل تزداد، كيف؟ تزداد قيمة العمل إذا كثُرت المعوقات في سبيله، هذا العمل دونه عقبة، وذاك العمل أمامه عقبة، وهذا العمل فيه مسؤولية، وذاك العمل متعب، وهذا العمل له مضاعفات، كلما كثُرت المعوقات في سبيله، تزداد قيمة.

وكلما كثُرت الصوارف عنه تزداد قيمة، فشخص معه مبلغ، بين أن ينشئ به معهداً شرعياً، أو ميتاماً، أو مستوصفاً، وبين أن يأخذ بيته بالمصيف ليتمتع فيه، فوجود بيته في المصيف هذا مصرف مغرٍ، فكلما كثُرت العقبات وكثُرت الصوارف ترتفع قيمة العمل الصالح، ولكن لا شك أنكم على اطلاع بأن هناك علماء توافقهم الله عز وجل، ولا زالت دعوتهم قائمة ومستمرة، وقد كنت في لبنان منذ أيام، واستمعت إلى أحاديث في الإذاعات لعلماء توافقهم الله عز وجل، هم تحت أطباق الثرى، والناس على امتدادهم ينتفعون بعلمهم.

إذا أنت كإنسان لابد من أن تغادر هذه الدنيا، ما هو أعظم عمل صالح على الإطلاق؟ هو العمل المستمر بعد الموت، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمْلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ – وَالوَقْفُ مِنَ الصَّدَقَةِ الْجَارِيَةِ –
وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ))

[الترمذى عن أبي هريرة]

أعظم الأعمال المستمرة بعد وفاة الإنسان :

محور درسنا اليوم الصدقة الجارية، أي العمل المستمر بعد وفاة الإنسان، هناك أعمال لا تُعد ولا تحصى تنتهي عند الموت، لكن هناك أعمالاً ولو أنك غادرت الحياة الدنيا، فهي في صحفتك إلى

أبد الآبدين، فابحثوا عن عملٍ لا ينتهي مع الموت، ابحثوا عن عملٍ يستمر بعد الموت، هناك حديث آخر للنبي عليه الصلاة والسلام تضمن تفصيلات لهذه الثلاث قال:

((إِنَّ مِمَّا يَلْحُقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلِمَهُ وَتَشَرَّهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمَصْحَافًا وَرَثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لَابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحِيَاتِهِ يَلْحُقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ))

[الترمذني عن أبي هريرة]

ومن ثم عقبت بكلمة: هنئاً لمن كانوا تحت الترى، والناس مهتدون بهديهم، سعادة بأعمالهم، لقد أصبحوا عظاماً، لكن الناس مهتدون بهديهم، سعادة بأعمالهم،ولي كلمة كنت أقولها دائماً نقلتها عن بعض التابعين: "فاعل الخير خيرٌ من الخير، وفاعل الشر شرٌّ من الشر" كيف؟ وما هو العمل الشرير الكبير؟ هذا الذي ألقى قبلة على هiroshima، وقتل ثلاثة ألف إنسان في أربع ثوان، مضى على العمل خمس وخمسون سنة، أغلب الظن لو أن قبلة لم تلق وقتها، لما توا الآن موتاً طبيعياً، فهذا الشر انتهى، أما هذا الذي أمر بقتل هؤلاء فسيشقى إلى أبد الآبدين بهذا العمل، فصار فاعل الشر شرٌّ من الشر. لكن إنساناً أسس مساجد، وشيد معاهد، وأقام دار أيتام، وبنى مستشفيات، هذه كلها أعمال طيبة، وهذه الأعمال تنتهي مهمتها يوم القيمة، انتهى نفعها، وأساساً انتهى التكليف كله، أما صاحبها فيسعد بهذه الأعمال إلى أبد الآبدين.

أيها الأخوة، أتمنى عليكم أن تبحثوا عن عمل صالح لا ينقطع بالموت، يستمر بعد الموت.

الوقف من الأعمال التي تستمر بعد الموت :

الحقيقة أن الوقف من الأعمال التي تستمر بعد الموت، وهو الصدقة الجارية، لكن قد يقول أحدهم: أنا لا مال عندي، وهذا الدرس ليس لي، وهذا الدرس للأغنياء الكبار، الذين بإمكانهم أن يوقفوا أراضي أو عقارات أو بيوتاً، وفي بعض الدول الإسلامية مشروع مساعدة بالوقف، يقبل مثلاً مئة ليرة سورية، حتى هناك أطفال في هذه الدولة الإسلامية لهم صدقات جارية على سبيل الوقف، مشروع خيري، أصدروا أسهماً، السهم بمئة ليرة، فصار حتى الإنسان صاحب الدخل المحدود، حتى الطفل إذا معه مئة ليرة، جمعها في العيد، يمكن أن يسهم في صدقة جارية تتفعه بعد الموت، وهذا تشجيع.

اقتراحات حول استغلال أموال الأوقاف في حل مشكلات المجتمع :

أيضاً استمعت إلى اقتراحات حول استغلال أموال الأوقاف في حل مشكلات المجتمع، شيء لا يصدق، من الممكن للوقف وحده أن يحل مئات المشكلات في المجتمعات الإسلامية، سأوافيكم بمثلٍ من هذه الطموحات إن صح التعبير، من هذه الطموحات التي يمكن أن تكون توظيفاً حديثاً

للوقف، وقد ذكرت في الخطبة أن الإسلام ليس فيه تحديد، مثلاً يقال لك: تحديد القوانين، أي أن القوانين السابقة لا تصلح، فلابد من تعديلها، هذا الشيء ينطبق على القانون، لأن وضع القانون بشر، وهذا الإنسان وضع القانون إما أن علمه محدود، أو هو مقيد بظروف معينة، فعندما انتهت هذه الظروف فليس هناك معنى لهذا القانون، ونحن الآن في تطوير والحمد لله، هناك قوانين كثيرة تطورت، فممكן أن تقول: تحديد قانون، لأن القانون أصبح غير صالح الآن. فمثلاً: إذا أساء الإنسان للاقتصاد بثلاثين ألفاً، يواجه محكمة اقتصادية، وقد يواجه حكماً بعشرين سنة سجناً، لكن هذا القانون صدر قبل عشر سنوات، وإن ثلاثة ألفاً الآن ليس لها قيمة، رفعوها إلى ثلاثة ألف، عدّوه، أي حدّثه، فالتحديث للقوانين وارد، أما التحديث للدين فغير وارد، لأن هذا الدين دين الله، ولأن هذا الدين من عند الله، والله عز وجل مطلق، أي كلامه حق، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والنبي عليه الصلاة والسلام معصوم، معصوم عصمة يجعله لا يخطئ؛ لا في إقراره، ولا في كلامه، ولا في عمله، إذاً الدين لا يحدث، ولكن الدين تطبق قواعده الثابتة على حالاتٍ جديدة.

شيء آخر: الدين لا يجدد، لأنه جديد، وإذا أجزنا أن نقول: تجديد الدين، وقد ورد هذا في الحديث الصحيح:

((إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ عَلَىٰ رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ سَنَةً مِنْ يُجَدِّدُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَمْرًا دِينِهَا))

[زيادة في الجامع الصغير عن أبي هريرة]

فالتجديد بالضبط لا يعني أن تضيف شيئاً، ولا أن تمحى شيئاً، بل يعني أن تتزع عن الدين ما علق به مما ليس منه، من خرافات، وشطحات، وهناك سلوك ما ورد عن النبي إطلاقاً كالعادات التي بالموالد، فيها توسّلات، هذه كلها ما أنزل الله بها من سلطان، فالتجديد أن تتزع عن الدين ما علق به مما ليس منه.

هذه المؤذنة التي في صحن هذا المسجد، كان لونها قريباً إلى السواد قبل عشر سنوات، فاختارت أجهزة تصفيتها بالرملي، تعيد الحجر إلى لونه الطبيعي، تعيد الحجر الذي تراكمت عليه الغازات والغبار وغاز أكسيد الفحم، فأصبح لون الحجر أسود، فحينما تتزع عنه هذا اللون الهجين الذي ليس منه هذا هو التجديد. فالدين لا يحدث ولا يجدد، إن أصررنا على تحدثه فيعني أن نطبق قواعده الثابتة على حالاتٍ متعددة، أو أن نزيل عنه ما علق به مما ليس منه.

الحقيقة أعظم إيجابية في الوقف أنه يحول قابض الزكاة إلى دافع لها، يحول المستهلك إلى منتج، يحول الذي تحمله إلى إنسانٍ فيحمله معك، كنت تحمله فإذا هو يحمل معك، فالوقف من أهدافه الكبيرة: أن الإنسان هو غاية كل الشرائع، من حيث العناية به، وتوفير حاجاته، وراحة النفسية، وحاجاته المادية فوق كل شيء.

مثلاً يقولون بالتعبير السياسي: لا كيان بلا أرض، فلو قسنا على هذا التعبير: لا زواج بلا بيت، فكما أنه لا كيان بلا أرض، لا زواج بلا بيت، فإن إنسان دخله محدود يمكنه أن يأكل طعاماً خشناً،

وهو أسعد الناس به، يمكن أن يقتني أثاثاً بسيطاً، ويسعده هذا الأثاث البسيط، ولكن أين يسكن؟ أين يقيم هذا الزواج؟ لا بد من بيت، صار متاحاً أمام أغنياء المسلمين أن يعملوا عملاً لم يسبقوا إليه، لو أنهم وقفوا بعض أموالهم على إنشاء بيوت، بيوت متواضعة، فهناك بيت تبلغ مساحته ستين متراً، بإمكانك أن تستخدمه خمس سنوات، فإذا أقيمت بيوت صغيرة في أطراف المدينة، وأنشئت وحدات سكنية عالية فهذه تؤوي أسرًا ناشئة كثيرة، ويتيسر أمر زواج الشباب والشابات، ويغفون. والآن، إن شاء الله، والأمل كبير جداً، أن يعدل قانون الإيجار، أنا رؤيتي أنه إذا عدل هذا القانون تعديلاً جزرياً، فأصبح العقد شريعة المتعاقدين كل إنسان عنده بيت يمكن من تأجيره إلى الوقت الذي يريد، وبالأجر الذي يريد، ولا يحتاج استرداده لا إلى دعوى، ولا إلى محكمة، ولا إلى تنفيذ، مما دام سجل في المخفر، فيمكن لشرطي بسيط أن يخرج المستأجر من البيت، ونرجو إن شاء الله أن يصدر هذا التعديل لقانون في القريب العاجل، معنى ذلك أنك قد تجد أربعين ألف بيت في دمشق معروضة للإيجار.

الشباب حالياً عندهم معنى الزواج أن يتمكن من شراء بيت، وهذا فوق طاقة الشباب، ولكن إن شاء الله لو أن هذا الأمر تم، فالزواج يعني عند الشاب استئجار بيت، وإذا عرض أربعين ألف بيت للايجار فقد تهبط أسعار البيوت إلى النصف أو إلى الربع تقريباً، وقد طبق مثل هذا القانون في بلد آخر، وكان أحد أقربائي هناك، وقال لي: أنا ساكن بفيلا، بالاسم الأجنبي لها، وهي بجدة، وأجرتها خمسة وثلاثون ألف ريال، فلما طبق هذا القانون، هبط سعرأجرتها إلى ثمانية آلاف ريال في السنة، من خمسة وثلاثين إلى ثمانية آلاف، فأنا مقائل أنه إذا عدل هذا القانون فقد نجد بيوتاً في دمشق بآلفين أو ثلاثة أو أربعة آلف، وقد يتمكن الشاب بنصف دخله أن يستأجر بيته، فصار سبيل الزواج ميسراً، والذي عنده بيت على الهيكل يكسوه ويؤجره، فهناك مئتا حرفه متعلقة بكسوة البيوت، وكل منها توفر عملاً، فنرجو الله سبحانه وتعالى أن يتحقق هذا في القريب العاجل.

من الأعمال الصالحة وقف الأموال لإنشاء البيوت :

على كل، لو فرضنا أنّ أنساً وقفوا بعض أموالهم لإنشاء بيوت صغيرة، وذات كلفة منخفضة، ويعطى هذا البيت بأجر رمزي لأي شاب وشابة متزوجين لخمس سنوات فقط، بعد خمس سنوات يدفع أجرة المثل، أي كم يساوي أجرة هذا البيت؟ إما أن يخرج منه إلى بيت آخر، أو أن يدفع أجرة المثل، معناها فتحنا أبواب الزواج على مصاريعها، فكلما اتسعت أبواب النكاح ضاقت أبواب السفاح، وكلما كثرت بيوت المتزوجين قلت بيوت الدعارة، ..

((إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَرُوْجُوهُ، إِنَّا تَنْهَىٰكُمْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادًا عَرِيضًا ...))

[الترمذى عن أبي هريرة]

هذا اقتراح، أن توظّف بعض أموال الأغنياء في إنشاء بيوتٍ لسكنى الشباب أصحاب الدخل المحدود، هذا عمل، فأنّت عوّد نفسك، فلا تعطِ إنساناً صدقة يستهلكها في أيام، ويبقى يمدّ يده، لا، بل أغْنِه، والعلماء قالوا: الزكاة ينبغي أن تُغْنِي، أن تُغْنِيه عاماً على مذهب، وطوال العمر على مذهب آخر، وليس معناها أن تعطيه كل شهر عشرين ألفاً ضرب اثنتي عشر فيبلغ مئتين وأربعين، ضرب ستين سنة، هذا شيء مضحك، لكن تعطيه أدوات حرف، تفتح له محلاً صغيراً، تشتري له ماكينة صوف مثلاً، تعطيه شاحنة صغيرة يبيع عليها، تعطيه أدوات حرف، هكذا ينبغي أن تُصرف أموال الزكاة، في نقل الإنسان من قابض إلى دافع، من محمول إلى حامل، من سلبي إلى إيجابي.

أحد الأصدقاء ذات مرة عرّفني على شخص، وهو محسن كبير في بلد إسلامي، أسس في بلده بناء من عشرة طوابق، سبعة طوابق منها لطلبة العلم، فيها معاهد ومكتبات، أما ثلاثة فللتعليم طلبة العلم مهناً راقيةً، يكتسبون رزقهم من خلالها، هذا مشروع، هناك الآن حرف كثيرة مطلوبة، الكومبيوتر مطلوب، المحاسبة مطلوبة، لو أن إنساناً أسس معهداً مهنياً، وقبل به الفقراء من الشباب، وعلّمهم حرف، وانطلقوا ليبحثوا عن عملٍ باختصاصهم، هذا أيضاً عمل يمكن أن تستخدم فيه أموال الوقف.

سمعت اليوم كلمة مفادها: تأجير العقارات صناعة الكسالى، إنسان كسول يشتري بيته ويؤجره، لم يفعل شيئاً، لم يقدم شيئاً، لكن هناك مهناً، القاعدة الأساسية: لا تطعني سمكة، علمي كيف أصطاد السمك.

أحياناً طبيب أسنان يتخرج ولا يملك ثمن عيادة، لا يوجد حل، وهذه القضية عويصة جداً، أما لو أمنا له عيادة فقد أعنّاه، ومن ثم يعيينا، أو يتخرج مهندس زراعي، كله طاقة، وحيوية، شاب في أول حياته وليس معه رأس المال، وهناك إنسان آخر معه رأس المال، وليس لديه إمكانية لاستغلاله، ولا ليستثمره، انظر إلى هذين النموذجين، إنسان معه المال ويفقر إلى اختصاص، وإنسان معه اختصاص يفتقر إلى المال، لو تعاون هذا مع هذا، لأنّشأ منشأة نافعة، فيمكننا أن نوظّف بعض الأموال لمثل هذه الأعمال.

أنواع الأوقاف لا تعد ولا تحصى :

لعل أحدكم يفهمني خطأ، ليس كلمة الوقف أن تسجله بالأوقاف، لا، أنا لم أقصد هذا أبداً، فاسمع الآن ما يقال: نحن قبل عشر سنوات كان أخي من إخواننا الكرام رئيس جمعية خيرية، وهو محسن توفاه الله عز وجل، قدم لنا بيته بأحد أرقى أحياط دمشق، وهو بيت غال جداً وواسع، فهذا البيت أسس كمركز تدريب مهني للفتيات، واستقدموا آلات خياطة، وخبرات في فن الخياطة، وأقاموا دورات للفتيات، الدورة تقريراً ستة أشهر، يعلمون الفتاة أعلى فن الخياطة، الخياطة الحديثة، وبعد

ذلك يعطونها ماكينة، ومعدات الخياطة للبيت، ثم يعطونها أقمشة ومواديات، تصنع من هذه الأقمشة ألبسة، يشترونها منها بسعر جيد، فهذه المرأة الفقيرة التي كانت متسولةً أصبحت خياطة في بيتها، وباعت نتجها بسعر معندي، وعاشت هي والذين حولها في بحبوحةٍ وكرامة، أرأيت إلى هذا المشروع ؟ أساسه بيت، ورجلٌ وقف هذا البيت ليكون مركز تدريبٍ مهنيٍ للفتيات الفقيرات، فاترك الذهن يتفتق عن مشروع ينفع المسلمين.

سمعت في بعض البلاد أن هناك صناديق عديدة، صندوق لرعاية المعاقين، صندوق للثقافة والفكر، صندوق وفقي، شاب عنده طاقتات أدبية عالية جداً، أو عنده اتجاه علمي عالٍ، له مؤلف، لكن هذا المؤلف نشره يكلف مثلي ألف، أو يؤخذ منه بأبخس الأثمان، لو أنشئت دار نشر، فألوفقت هذه الدار لتشجيع الشباب الملتحم على نشر إنتاجهم العلمي والأدبي والديني، بسعر معقول يشجّعهم، ويعرض إنتاجهم للناس، ويباع الكتاب تقربياً بكلفة، وهذا صندوق لرعاية الثقافة والفكر. وهناك صندوق وفقي للقرآن الكريم؛ للعناية به، وتحفيظه، وقراءاته، وطبعه، وتوزيعه، وكذلك صندوق وفقي للتنمية العلمية، طالب متوفق، هذا قد يكون عالمًا كبيراً ينفع الأمة، ولكن ليس معه ما ينفق على دراسته، فيختارون الأوائل في الجامعات والمدارس، ويرسلونهم ببعثات ليحصلوا أعلى العلوم، لينتفع المسلمون بعلمهم، فهذا أيضاً وقف.
إذاً هذه مجموعة أوقف نعود لنذكر بها.

وقف للثقافة والفكر، وقف للقرآن الكريم، وقف للنشر، وقف للمعاقين، وقف للمحافظة على البيئة، نحن أمام التلوث المخيف، وقف للتوعية المرورية، وهناك وقف سمعت عنه اليوم لدفع الأطفال إلى المطالعة، توزّع على بيوتات المسلمين قصص للطلاب، فيها فكر هادف، فيها قيمة إسلامية، فالطفل يأخذ القصص يقرأها، فيغدو محباً للمطالعة، هذا وقف أيضاً، هناك وقف لتوزيع الأشرطة والمحاضرات الدينية. والله لقد أحصيتُ اليوم المجالات التي يمكن أن يستخدمها الوقف لنشر الثقافة، وفرص العمل، فوجدتها كثيرة، وهناك وقف سمعت عنه اليوم لحل الخلافات الزوجية، وهناك خمسة وستة وثمانون حالة طلاق عادت إلى المصالحة، عن طريق هذا الوقف، لأن فيه خبراء اجتماعيين، ورجال دين، ومن هذا المكتب يتلقون رواتب ليحلوا مشكل الزواج، سمعت اليوم في هذا المؤتمر نماذج من توظيف الوقف لا تعد ولا تحصى.

هناك وقف صحي لإنشاء مستوصفات، عندنا والحمد لله عدة مراكز في دمشق ؛ مركز الأكرم، ومركز العثمان، ومركز التجارة بالمهاجرين، فحوص دقيقة، أحياناً إيكو، أحياناً مرنان، لأن الصورة عالية، تحليات، وتصوير أشعة، بثمن رخيص، فممكن بالصحة، ممكّن بالتعليم، ممكّن بالتوعية، ممكّن بالعناية بالمساجد، بالعناية بالبيئة، بتربية الصغار، هذه الأموال حينما توقف لهذه المشاريع العملاقة، صارت صدقة جارية، لم يعد عملك منتهياً بموتك، لا، لا، فالعمل مستمر.

عندنا كذلك مشكلة القرض، أكثر المحسنين يعزفون عن الإقراض، يقول لك: أطالبه وبطاليبي، وألاحقه، وما معى ومعي، ولأنه لا يحب وجع الرأس فلا يقرض، فمن الممكن أن ينشأ صندوق للقرض الحسن، كأن يرصد مجموعة من المحسنين بعضاً من أموالهم للقرض فقط، ينشأ لهذا القرض صندوق، وهيئة إدارية تأخذ ضمانات من كل مفترض، بيته فرضاً، ورقة طابو، وتفرضه قرضاً حسناً يعينه، طبعاً الأعمال التي تكلمت عنها هي واقعة بشكل فردي محدود، نحن إذا أردناها أن تكون ذات نفع عام نعمّها.

حالياً بدمشق مثلاً عندنا صندوق العافية، هذا أجرى أربعة آلاف عملية، بتسعين مليون ليرة، ومحسن كريم قدّم لهذا الصندوق مستشفى، قدّم مبني بأكمله مؤلفاً من ستة طوابق، ليكون مستشفى لهذا الصندوق، هذا العمل لا ينتهي مع موت صاحبه، هذا على مر الزمان، فكل إنسان دخل هذه المستشفى، وشفى من خلال طبنته وعملياته ومعالجاته، في صحيفة من وقف هذا المستشفى. سمعت عن صندوق آخر، ما كنت أعلم به، هو صندوق المعاقين عندنا في دمشق، المعاق يعطى مبلغ مئتي ألف، كي يكون نواة لرأسمال يعمل به، فهو إنسان يحتاج مثلاً إلى مرحلة ذات دفع رباعي، مثلاً كتبوا في الإعلان عن السرعة، إذا أسرع الإنسان أكثر من اللزوم تتبدل مرحلته من دفع ثلثي إلى دفع رباعي، تسير على أربع عجلات، أي يدفعونه دفعاً، فأحياناً ممكناً بوقف من الأوقاف أن نقام أعمال لا تتهي خيريتها.

أيضاً سمعت عن صندوق آخر، وهذا قد سمعتم به، وهو صندوق المودة والرحمة للتزويج الشباب، وهو الآن في بداياته، فعندما يفك المسلمون هذا التفكير ؛ صندوق للزواج، صندوق للصحة، صندوق للوفاق الزوجي، صندوق لتأهيل الشباب الفقراء بمهن راقية، صندوق للقرض الحسن، صندوق لإنشاء البيوت، فهذا يعني أن المسلمين بخير.

شخص ذهب إلى بلد غربي، فوجد على الطريق أدمغة تباع استغرب، معقول !! -هذه قصة رمزية- فسأل: كم ثمن هذا الدماغ، دماغ من بلد متقدم؟ قالوا له: بدولارين، كم ثمن هذا الدماغ؟ بثلاثة دولارات، دماغ فرنسي، وهذا أربع دولارات، دماغ إنجليزي...إلخ، فرأى أحيراً دماغاً من هذه الدول النامية ثمنه ألف دولار، وهذا الشخص من هذه الدول، فشعر باعتزاز، قال له: لماذا هذا غالٍ؟ لأنه لم يشتغل بعد، عندما يشتغل دماغنا بشكل صحيح، يحبنا الله وينصرنا، الدنيا تستقيم بالعدل والكفر، ولا تستقيم بالإيمان والظلم، عندما نعاون بعضنا، نترابط، نتكاف، نتناصر، نهتم بالفقير، نهتم بالشباب، عندئذ لعل الله يرحمنا.

أنواع الوقف كثيرة وليس لها حد أكبر :

أيها الأخوة... السلف الصالح- جزاهم الله خيراً- كانوا مولعين بالعمل الصالح، فمثلاً: هناك وقف للإماء المكسور، فأي شاب بمحل تجاري، أو بمعمل، أو ابن في بيت والأب ظالم وانكسر معه إماء، يقدم قطعة من الإماء المكسور ويأخذ إماء جديداً، فقد حلّت المشكلة، اسمه وقف الإماء المكسور.

وهناك وقف اسمه: وقف النساء الغاضبات، واحدة لها حماة ظالمة، أخرجتها مطرودة من البيت، أين تذهب في حالات كهذه؟ هذا الوقف يؤويها، وينفق عليها، حتى يلتئم الصدع، وكذلك وقف للحيوانات السائمة، مركز المدينة، مرجة الحشيش، هذا وقف للدواوب المريضة، فهي أرض افقطعت وأوقفت لوجه الله، كل حيوان مريض يأكل وبينما يرتاح، اسمها مرجة الحشيش، تقول: أنا نازل إلى المرجة، أي إلى مكان وقف للحيوانات السائمة، والله سمعت عن أنواع من الوقف لا تصدق، كلها بنية العمل الصالح. فمن الممكن لكل إنسان أن يبحث عن عمل لا ينتهي بموته، ممكن لطفل صغير إذا أُعلن عن مشروع خيري وصدر به أسمهم، وجاء طفل فاشترى سهماً بمئة ليرة، فهذا الطفل الذي عمره خمس سنوات، صار له صدقة جارية إلى أبد الآبدين، فحن من الممكن لنا أن نعمل أعمالاً صالحة كبيرة، وكما تعلمون الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخالق، وكلما كان إيمان الإنسان أقوى كلما تفتق ذهنه عن أعمال صالحة لم تخطر على بال. سمعت عن بعض الصالحين، كان يتتجول بالليل، فإذا رأى شخصاً من الفلاحين جاء بعنبر ولم يُبع معه يشتري العنبر منه، فيبسر له أمره، ويعود إلى بيته وقد باع بضاعته، وقد يكون عنباً رديئاً، لكنه يصنع منه خل، فقد حل مشكلة هذا الإنسان، اشتري بضاعته، ويسر له أمره، وعاد إلى منزله، فكلما كان الإنسان إيمانه قوياً، يتتفق ذهنه عن عمل لا يخطر على بال، وأنواع الوقف لا تعد ولا تحصى، وليس لها حد أكبر.

الأعمال الصالحة لا تعد ولا تحصى :

كلمة وقف للناس موقف منه، فليس شرطاً أن تسجله بشكل رسمي، ممكن أن توقفه أنت لوجه الله من دون أن تسجله، فأحياناً يوقف الإنسان مبلغًا للدين، بعض أخواننا خصّص مبلغًا للدين والإقرارات يتداول، وهذا ليس له علاقة بالصدقة والزكاة، خصّص مبلغًا معيناً فرضاً مئة ألف، هذا إنسان طرق بابه يقترض عشرة آلاف، أو خمسة آلاف، أو خمسين ألفاً، من إخواننا المؤمنين، الصادقين، المستقيمين، الأوفياء، عندهم ذمة وعهد، فيدينه له، فإذا أرجعه، أعطاه لغيره، فهذا وقف، وليس شرطاً أن تسجله، أنت تخاف أن تسجله رسمياً، والحقيقة هناك ضعف ثقة بين الإنسان والجهات الرسمية، أنا لا أقول لك سجله، ولكن أنت أوقف هذا الشيء إلى جهة خيرية مثلاً تديره وتشرف على شؤونه.

أحياناً شخص يوقف مكتبته، شخص قال لي: عندي كتب، قلت له: ضعها بمكتبة الجامع، كل إنسان قرأ بهذا الكتاب يستفيد، لو أهديتها لإنسان قد يقرؤها وقد لا يقرؤها، أما إذا صارت في المكتبة العامة فإنها تقرأ، أناس كثيرون يقدمون مكتباتهم الخاصة لمكتبات عامة أو لمساجد، أحياناً إنسان يقدم جهازاً، فرضاً كومبيوتر لطلبة العلم، فكل من تعلم على هذا الجهاز في صحيفة من قدمه له، فالملاحظ أن بعض الأغنياء المحسنين أفقهم ضيق، فهو يعطي متسللاً مثلاً، أما أن يساهم في تنشئة جيل مؤمن، وبهيئة الأسباب ل التربية جيل، فهو بعيد عن هذا الجو، يجب أن يعطي فقيراً ليطعنه فقط، والفرق واضح بين أن تطعمه وبين أن تهديه، وأن تعرفه بالله، وتيسّر له عملاً يرتفق منه، وهذه أشياء تحتاج إلى فهم أعمق.

على كل إنسان أن يكون له عمل لا ينتهي مع موته :

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا الصواب، فأنا أقول: كل واحد منكم يجب أن يكون له عمل لا ينتهي مع موته، بل يبقى إلى أبد الآستان، فإذا دعا الإنسان إلى الله بهذه صدقة جارية، لا تتكلف شيئاً، فإن لم يكن معك مال، ودعوت إلى الله و كنت سبباً في هداية الخلق لهذا وقف كذلك، أو قفت علمك، وهذه امرأة عمران ماذا وقفت؟

﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً﴾

[سورة آل عمران: ٣٥]

لا تملك شيئاً، لكنها تملك هذا الجنين الذي في بطنها..
﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي﴾

[سورة آل عمران: ٣٥]

فكانت السيدة مريم، ومن السيدة مريم سيدنا المسيح، سيدنا عيسى، فالآلام قد توقف، والإنسان أحياناً يوقف اختصاصه، لديه اختصاص أدب إنجليزي أوقفه للحق، فترجم كتاباً ونشرها، والبلاد الغربية بحاجة ماسة لكتب مترجمة صحيحة، وهذا الموضوع قد أوسعته وأشعبته شرحاً بشكل وافي، ولو أن كل واحد منكم حتى الصغير أوقف شيئاً يستمر ثوابه بعد وفاته، وهذا أوقف علمه، هذا أوقف اختصاصه، هذا أوقف حرفته، هذا أوقف بيته، هذا عنده اختصاص معين، والمسلمون بحاجة له، فأوقفه للمسجد لعلم الخير الناس، فمعنى الوقف أنك حبس الأصل وسبلت الثمرة، أصل الشيء موقوف ولكن منفعته مستمرة إلى يوم القيمة.

فأردت أن يكون هذا الدرس في المجال الذي نعيش فيه هذه الأيام، فعلل الله سبحانه وتعالى ينفعنا بهذا البحث الفقهي القيم الذي نحن في أمس الحاجة إليه، وبيّنت لكم كيف أن هناك مشكلات لا تعد ولا تحصى تحل بهذه الطريقة.

والحمد لله رب العالمين